المجلة العربية للعلوم ونشر الابحاث
العدد الأول – المجلد الخامس
مارس 2019
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

العوامل التي ساعدت على وجود وازدهار العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الهند

نعيمة أبو القاسم الصويعي خليفة وان كمال موجاني

الجامعة الوطنية الماليزية (UKM)

الملخص: يتناول هذا البحث الموسوم ب (العوامل التي ساعدت على وجود وازدهار العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الهند) أهم النقاط التي شكّلت جسراً مهماً لإرساء علاقات تجارية بين مصر والهند، وخاصةً في فترة الحكم الإسلامي للبلدين في العصر المملوكي، وقد ذكر الموقع الجغرافي لكلا البلدين، وأثر انتشار الإسلام على حركة الاقتصاد بين البلدين، ثم تناولت أهم المظاهر الجغرافية التي ساعدت على دعم حركة التجارة، والتي تمثّلت في البحر الأحمر والسواحل والموانئ المنشأة في تلك الفترة، إضافة إلى التيارات البحرية والرياح الموسمية، وذكرت أخيراً العلاقات الخارجية المنتظمة والمعاهدات الهامة التي عقدها أمراء المسلمين بما يتناسب مع مصالحهم التجارية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات التجارية. الحكم الإسلامي، حركة الاقتصاد، مصر، بلاد الهند.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم المرسلين، وعلى آلة وصحبه الطاهرين، وبعد.

فإن العلاقات التجارية بين البلدان المتجاورة أهم مصادر الدخل والاقتصاد بين البلدان، خاصة تلك الدول التي يحدها البحر. ومن المعلوم أن الحضارة الإسلامية عبر التاريخ قد وطّدت علاقاتها مع الدول المجاورة لها فيما يتعلّق بكافة مظاهر الحياة، ومنها المجال التجاري، وفي العصر الإسلامي كانت مصر بلداً مهماً يعتمد على التجارة بشكلٍ كبير مع ما يجاوره من الدول ومن بينها الهند. وفي هذه الدراسة سنورد أهم هذه العوامل التي ساعدت على تحسين الجانب التجاري بين البلدين.

أهداف البحث

يتمثل الهدف الرئيس للبحث في إبراز أهم العوامل الجغرافية والتاريخية التي ساعدت على تحسين العلاقات التجارية بين مصر والهند، والتي جعلتها من أهم العلاقات التجارية في تلك الفترة، ومن ثم يهدف البحث إلى بيان أهمية الإسلام والخلافة المملوكية في هذه العلاقات التجارية، وطرق إنمائها ورفع مستواها.

أهمية البحث

إن من أهم ما يميز هذا البحث هو أنه يسلّط الضوء على الجانب البحري الذي أحال التجارة بين مصر والهند إلى تجارة عالمية كبرى، حيث كانت الموانئ ودراسة التيارات البحرية والرياح عوامل مهمة شكّلت طبيعة العلاقة، إضافة إلى أن البحث يوضّح بعض المعاهدات التي ساهمت في الرقي بالتجارة الخارجية بين البلدان.

مشكلة البحث

تتمحور بعض الأسئلة التي يجيب عنها البحث في الآتي:

- ما هي أهم العوامل التي شكّلت التجارة الخارجية بين مصر والهند؟

- كيف ساهم الموقع الجغرافي لكلا البلدين بذلك؟
- ما هي مظاهر الحضارة التي تولّدت مع نشوء هذه العلاقات؟

منهج البحث

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على مناهج البحث العلمي، للوصول إلى تحقيق هدفها من البحث، والإجابة على الموضوعات والتساؤلات التي يثيرها البحث، وقد اعتمدت بشكلٍ أساسي على المنهج التحليلي: والذي تم استخدامه لدراسة عوامل النشاط التجاري وتحليلها بما يتناسب مع العلاقة بين مصر والهند.

تمهيد

لقد ساعد على وجود وازدهار هذا النوع من العلاقات مجموعة من العوامل التي توفرت لدى كلٍّ من مصر وبلاد الهند، وأهلتها كي تحتل مكانة اقتصادية عالمية، ليس في الفترة الزمنية لموضوع الدراسة فحسب بل منذ عصور تاريخية موغلة من القدم، ومن المعروف أن ازدهار التجارة يتطلب توفير مقومات عديدة أولها استراتيجية الموقع الجغرافي، وانتشار الإسلام، والتيارات البحرية، ومدى اهتمام المماليك والهنود بتأمين وحماية الطرق التجارية، أهمية الطرق التجارية في تطور العلاقة بين البلدين، إنشاء الفنادق والقياسر والخانات.

ومن هنا يجب الإحاطة بجميع هذه الأمور للوقوف على أهم العوامل التي ساعدت علي تطور العلاقة بين مصر والهند في العصر المملوكي في الفترة ما بين (648-923هـ-1250-1517م).

الموقع الجغرافي للبلدين:

شغلت مصر موقعاً استراتيجياً مهماً، أكسبها أهمية كبيرة وخاصة من الناحيتين السياسية والتجارية[1]، وذلك بدوره جعل مصر ترتبط بعلاقات سليمة وحربية في آن واحد عن طريق البحر الأبيض المتوسط شمالاً[2]، والبحر الأحمر شرقاً[3]، وانتشار المدن التجارية على سواحلها إضافة إلى وجود شريان الحياة الأول بها الهوا نهار النيل الذي يشقها من الجنوب إلي الشمال، ولقد كان لموقع مصر الجغرافي أثر إيجابي في حياتها الاقتصادية والسياسية، إذ يحدها من الغرب الصحراء الليبية، ومن الجنوب بلاد النوبة .أما من الشمال فيحدها البحر المتوسط وبلاد الشام ومن الشرق البحر الأحمر[4]، ثروات مصر الطبيعية التي تحكمت في الطرق التجارية العالمية في البحر الأحمر، والذي يمثل الضلع الشرقي لمصر وكان عاملاً هاماً لربط مصر بشبه الجزيرة العربية ثم ببلاد الهند والصين عبر المحيط الهندي[5].

أما الهند فتقع في جنوب آسيا، وتعتبر سابع أكبر بلد من حيث المساحة الجغرافية، مما أدى إلى تسميتها بشبه القارة الهندية، حيث يحدها من الجنوب المحيط الهندي، وبحر العرب من الغرب، وخليج البنغال من الشرق، وسريلانكا من

[1] -نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1973، ص140.

[2] - ترتبط مصر عن طريق البحر المتوسط بالشام والمغرب العربي وأوروبا، أنظر: أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام في عصري الأيوبيين والمماليك، دار الاحد البحرية، بيروت، 1972، ص201.

[3] - أما بالنسبة للبحر الأحمر وأهميته في تأمين الاتصال بالحجاز واليمن والمحيط الهندي وتجارة المشرق، انظر: العبادي، تاريخ البحرية، ص203.

[4] - إبراهيم بن محمد الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، 1961م، ص39.

[5] -السيد عبد العزيز سالم، أحمد العبادي، البحرية المصرية في زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، سنة 1973م، ص565.

الجنوب الشرقي عبر مضيق بالك. وتشكل جبال الهمالايا التي أعلى جبال العالم حدودها الشمالية، وتنقسم بلاد الهند إلى ثلاث أقاليم رئيسية هي جبال الهمالايا وسهل جانحتيك وشبه الجزيرة الهندية[6].

والهند بحكم موقعها الجغرافي الممتاز وطول سواحلها ووفرة مواردها الطبيعية والبشرية أكسبها مواقع استراتيجي مهم يربط بين الشرق والغرب مما جعلها تسيطر على طرق التجارة العالمية.

انتشار الإسلام

لقد كان لظهور الإسلام أثر واضح في ازدهار التجارة والنشاط التجاري في الجزء الأوسط من البحر الأحمر إذ أصبحت تلك المناطق معبراً قوياً لأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج[7].

عند ظهور الدين الإسلامي في الربع الأول من القرن السابع للميلاد كانت مصر تعيش المرحلة الأخيرة من مراحل حكم الروم البيزنطيين لها، فحررها العرب المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) سنة(19هـ-640م) بقيادة القائد عمرو بن العاص، عندما تغلب على المقوقس (صاحب مصر) وتمكن من الدخول إلى مدينة الفسطاط وجعلها مقراً له ومعسكراً لجيشه[8]، تم تواصلت الإدارة العربية الإسلامية لمصر بشكل مباشر بوصفها جزاءً من الدولة العربية، وذلك طيلة العصر الأموي (41-132هـ-661-749م)، والعصر العباسي لها (132-254هـ-749-868م)، ثم خضعت لحكم الطولونيين والإخشيديين واستمر ذلك لغاية سنة (358هـ-968م) عندما استولى الفاطميون عليها ونشروا دعوتهم فيها خلال حكمهم الطويل لها، والذي انتهي بقيام الدولة الأيوبية التي تحملت عبء مقاومة الغزوات الصليبية على مصر والشام وزالت بدخول المماليك مصر سنة(648هـ-1250م)[9].

أما بلاد الهند فقد حباها الله تعالى بدورها موقعاً جغرافياً ممتازاً وثروات طبيعية هائلة وسواحل ممتدة انتشرت بطولها تعاريج ساعدت على تشكيل مدن وموانئ ساحلية تجارية ذاعت شهرتها عالمياً، واحتلت مكانة تجارية هامة، مما ساعد على نشوء أقدم العلاقات بين تلك الأجزاء خاصة الاقتصادية والتجارية منها بتكوين المصلحة المشتركة بينهم، وخاصة عندما جاء الإسلام استمرت هذه الصلة فتعرف الهنود على الدين الجديد من خلال عوامل عديدة منها: التجارة لأنها من أقدم مظاهر الصلات ونظرًا لما عرف به التاجر العرب المسلم من أخلاق حميدة ومصداقية في التعامل، إذ أصبح داعية للإسلام فضلاً عن عمله التجاري. ولا شك أن هذا العامل يتعلق بطبيعة العمل التجاري ومتطلباته، وهذا ما كان يدركه التاجر العربي المسلم فهو بقدر ما يهمه عمله التجاري كان ايهمه أيضاً حسن المعاملة والعلاقة الودية مع الأهليين والتي تمكنه من التغلغل في الوسط الاجتماعي الجديد[10]. وقد أفادت الصلات التجارية بين التجار المسلمين والهنود في تعرفهم على ملامح الدين الجديد وأركانه ومبادئه. ومن جانب آخر فقد بدأ التفكير في فتح الهند مبكرًا من القادة العرب المسلمين بهدف نشر الإسلام فيها، فقد بشر الرسولﷺ في عدد من أحاديثه بفتح بلاد الهند قائلاً (عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريمعليه السلام)[11].

وقد انتبه بعض الخلفاء الراشدين والأمويين على حد سواء إلى أهمية تلك البلاد السياسية والاقتصادية وأهمية نشر الإسلام فيها، فأرسلوا عددًا من البعوث الاستكشافية لعرض توثيق معلوماتهم عن جغرافيا ومسالك تلك المناطق

[6] - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا، طبعة باربية دي مينار وباقية دي كرتاي، ج1، بيروت، 1965م، ص75.

[7] - شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص43.

[8] - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل (ليدن، 1930م)، ص55.

[9] - محمد إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات، ج1، دار الفتح لطباعة والنشر، ص139.

[10] - الطحطوح، مظاهر الثقافة الغربية الإسلامية في الهند، ص41.

[11] - عن أحاديث غزو لهند: انظر: أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي: سنن النسائي، ط1، مطبعة مصطفى الحلبي، (القاهرة-1964م)، ج6، ص35.

وطبيعتها فوصفها بعضهم على أنها أرض كثيرة الخير والموارد والمعادن فبأرضها شجر العود وببحرها الدر وبجبلها الياقوت[12].

الرياح والتيارات البحرية

لقد فرضت قوى الطبيعة نفسها كي تحدد أوقات وطبيعة العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الهند، وكانت أبرز التحديات التي واجهت الرحلات البحرية التجارية بين مصر وبلاد الهند وتحكمت في مواقيتها الرياح والتي شكلت عاملاً مساعدًا للتجار في وقت لم تكن فيه محركات البحار قد اكتشفت بعد. فتحكمت هذه الرياح في مواقيت خروج السفن من البحر الأحمر في طريقها إلى المحيط الهندي، وكذلك في مواقيت عودتها من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر[13]، لذلك فقد ربط الجغرافيون والبحارة العرب والمسلمون مواعيد السفر والتجارة بين الشرق والغرب بمواسم الرياح، التي عرفوها وألفوها بالعادات وطول التجارب[14]. ولقد انقسمت تلك الرياح إلى نوعين هما:

1. الرياح الموسمية الشتوية الشمالية الشرقية. وهي تبدأ في الهبوب من شهر ديسمبر حتى نهاية شهر فبراير، وهي تساعد على وصول السفن من سواحل بلاد الهند إلى عدن طوال فصل الشتاء، ومن عدن صار الأمر أكثر سهولة حيث يتم الإبحار بمحاذاة الساحل حتى الدخول إلى البحر الأحمر.
2. الرياح الموسمية الصيفية الجنوبية والجنوبية الغربية. وهي تبدأ في الهبوب من شهر أبريل حتى سبتمبر، وهي تساعد على وصول السفن من سواحل أفريقيا إلى سواحل بلاد الهند طول فصل الصيف.

وأهم النقاط التي ساعد على قوة الروابط الاقتصادية وخاصة التجارية بين مصر وبلاد الهند، أن التجارة في البحر الأحمر وخليج عدن أو بحر العرب كان مستمرة طول العام، ولم تكن مرطبيته بموسم معين للإبحار، وكذلك الخليج الإسلامي (الفارسي) ولقد كانوا يركبون فيه طول العام، كما كانت الملاحة ممكنة بين سواحل بلاد العرب والهند طول العام، إذ كان الملاحون العرب قد ألفوا الطريق إلى بلاد الهند من عصور موغلة في القدم، حيث كانوا يقطعون الرحلة كلها في محاذاة بلاد العرب وفارس[15].

الاهتمام بالعلاقات الخارجية

إن مما ساعد على ازدهار التجارة بين مصر و الهند هو أن سواحل البحر الأحمر كانت تدين لهم بالتبعية طيلة مدة حكم المماليك، وعمل عدد من السلاطين المماليك أمثال الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون (658-686هـ/1260-1277م)، على تأكيد تلك التبعية عن طريق إقامة علاقات طيبة مع سلاطين اليمن، تلك العلاقات التي استمرت حتى عهد الدولة الرسولية في اليمن (626-858هـ/1260-1277م)، حرصًا على سلامة التجارة والتجار[16]، ومثل هذا الكلام يقال على سياسة المماليك تجاه بلاد الحجاز التي ظلت تدين بالتبعية لسلطان المماليك الذي يخطب له على منابرها باسم حامي الحرمين[17]، حتى أصبحت مصر بفضل تلك السيادة البلد الاغنى في الدول العربية الإسلامية بتجارتها مع الهند. فضلًا عن ذلك فقد عقد المماليك عددًا من الاتفاقيات التجارية مع مجموعة من الممالك الإسبانية والجمهوريات الإيطالية التي كان الهدف منها تحقيق الربح المادي وتنشيط حركة التبادل التجاري معها،[18] وساروا على سيرة أسلافهم الأيوبيين فأقاموا

---

[12] - أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة، مسالك المماليك، مطبعة بريل (ليدن-1889م)، ص70.

[13] - السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص198؛ كذلك عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص205.

[14] - المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص243.

[15] - جورج فضلوا حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، القاهرة، 1958م، ص74.

[16] - علي بن الحسين الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بسيوني، مطبعة الهلال، القاهرة، ج2، 1914، ص182.

[17] - غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص16.

[18] - حياة ناصر الحجي، العلاقات بين دولة المماليك والممالك الاسبانية، ص2.

عناصر تشرف على شؤون أفراد الجاليات الأجنبية ومصالحها التجارية[19]. وقد أوردت عددٌ من المصادر نصوصًا تشير إلى إبلاغ السلاطين المماليك لنوابهم على الموانئ والمدن التجارية لحسن معاملة التجار والتودد إليهم[20]، ومنها المرسوم الذي أصدره المنصور قلاوون سنة (678هـ/1279م)، ووجهه إلى ملوك وسلاطين بلاد الهند واليمن والصين وتجارها ليحثهم على القدوم إلى مصر وإقامة علاقات تجارية معها[21]، فيقول فيه: "ومن يؤثر الورود إلى مماليكنا إن قام أو تردد فليعزم عزمًا من قدر الله له في ذلك الخير والخبرة ويحضر إلى البلاد لا يحتاج ساكنها إلى ذخيرة لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ومسلاة لمن تغرب على الوطن، فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين في الهند واليمن والصين لا يخشون فيها من يجور فإن العدل قد أجار". وذلك المرسوم إن دل على شيء فإنه يدل على حرص المماليك على ضمان حرية تجارتهم مع الهند عبر الطريق البحري فضلاً عن الإشادة بموقع مصر التجاري كوسيط في التجارة الدولية[22].

إنشاء الفنادق والقياسر والخانات

عني المماليك عناية كبيرة في إنشاء الفنادق[23]، والقياسر[24]، والخانات[25]، للتجار بصورة عامة القادمين من الشرق والغرب والتجار الكارميين بصورة خاصة وقد سبقهم بذلك الأيوبيون، ففي سنة 1183م وهي السنة التالية لانتصار حسام الدين لؤلؤ على حملة ارناط الصليبية على البحر الأحمر، أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء فندق للكارم بالفسطاط وكلف ابن أخيه تقي الدين ببناء هذا الفندق فيناء على شاطئ النيل حيث ترسو المراكب[26]. كذلك بني الكارمية أنفسهم بعضًا من هذه الفنادق على نفقتهم الخاصة، وكانت تتم فيها صفقات بيع التوابل والسلع الأخرى لتجار أوروبا[27]، حيث إن الفنادق والقياسر والخانات والوكالات تؤدي مهمة الأسواق وكانت جميعها مسميات لشيء واحد، ويصف الرحالة المشهور ابن بطوطة قيسارية الموصل بقوله: "وقيسارية الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها متقنة البناء"[28]،وكذلك يذكر المقريزي "أن الوكالة في معناها كالفنادق والخانات"[29]، وكانت الخانات والفنادق مباني ضخمة يحتوي كل منها على مجموعة من الجوانب الكبيرة والصغيرة ومستودعات للبضائع ويتوسطها فناء ضخم على هيئة رواق مغطّى، حيث يحفظ التجار بضائعهم ويجد التجار فيها المأوى لهم والعلف لدوابهم خلال رحلتهم. وتتكون هذه المؤسسات

---

[19] - الظاهري، زبدة كشف المماليك، مراجع سابق، ص41.

[20] - ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، تحقيق: قسطنطين رزيف، المطبعة الأمريكانية، القاهرة، ج8، 1942، ص65.

[21] - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصدر سابق، ج13، ص340-341.

[22] - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج11، ص421.

[23] -الفنادق. فهي تمثل قمة ما وصلت إليه طاقة المشروعات التجارية في العصور الوسطي. وفنادق العصر المملوكي مباني فخمة مربعة الشكل ولبعضها أكثر من طباق ولها فناء داخلي مكشوف أي غير مسقوف تحيط به الحوانيت في الطابق الأرضي حيث توجد المخازن وفوقها مساكن للتجار ويحيط بالفندق حديقة غناء يزرع بها التجار أشجار من أوطانهم وبالفندق قاعة عامة تستخدم مجلسا يقعد فيه الصفقات التجارية وكانت هذه المنشآت التجارية تعرف باسم فندق أو وكالة وعرفت في الشام وتركيا باسم الخان، أنظر: نعيم زكي، مرجع سابق، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص 288-293.

[24] - القياسر: ومفردها قيسارية وهي السوق المسقوفة وتحتوي على غرف ومخازن التجار ويعلوها بناء بارتفاع دورين أو ثلاثة لسكن التجار والصناع، وكان هناك قياسر خاصة بكبار التجار. وقد جرت العادة أن تنتشر بعض أنواع الصناعات الصغيرة فيها كما كان لكل فئة من التجار أو الصناع مكان معين، سعيد عاشور، مرجع سابق، ص463.

[25] - الخان: لفظة فارسية الأصل، أطلقت في العصور الوسطي على الحانوت وهو منزل التاجر وعلى الفندق وهو منزل المسافر، وكانت الخانات تشمل كلا المنزلين، ينظر يوسف بن عبد الهادي، الإعانات على معرفة الخانات، نشر حبيب زيات، مجلة المشرق، رقم 36، بيروت، 1938، ص66.

[26] - أحمد دارج، عيذاب، مجلة نهضة أفريقيا، القاهرة، تموز، 1958، ص66.

[27] - عطية القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، ص13.

[28] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص148.

[29] - المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج2، بولاق، 1270، ص151.

أحيانًا من ثلاث طوابق وصارت من المؤسسات التجارية النشيطة في القرن الخامس عشر. بل أنها أدت وظيفة حي قائم بذاته، تزدحم طرقاته وحاراته الضيقة بالناس خلال مزادات التجارة المختلفة[30].

ومن أشهر فنادق التجار الأوروبيين في مصر والشام في عصر المماليك ما يلي:

1. فنادق البنادقة: كان لتجار جمهورية البندقة فندقان في مدينة الإسكندرية، وفندق في كل من دمشق وبيروت وطرابلس وحلب واللاذقية.
2. فنادق البيازنة: كان لتجار جمهورية بيزان فندق في الإسكندرية وفندق آخر في مدينة القاهرة
3. فنادق الجنوية: كان لتجار جمهورية جنوة فندق في الإسكندرية وفندق في بيروت وفندق ثالث في دمشق[31].

وهناك عامل آخر ساعد على تنشيط التجارة المملوكية وخدمها، ودفع التجار من مختلف الجنسيات للإقبال على البلاد المملوكية، هذا العامل تمثل بكثرة وغنى الأسواق وتنوعها بحيث كانت على ثلاثة أنواع: محلية، وموسمية، وسنوية، فالأسواق الموسمية كانت تقام في مدة ورود التوابل من الشرق الأقصى، وارتبطت بهبوب الرياح الموسمية، لذلك تتغير مواعيد انعقادها من سنة إلى أخرى، وفي المدة ذاتها تصل السفن الأوروبية للتزود من السلع المشرقية[32].

أما الأسواق السنوية فكانت تعقد إجمالًا في مناسبات الأعياد الدينية، ولكن عندما زاد الطلب على السلع المشرقية في أوروبا، وبما أن الأعياد الإسلامية لم تكن ثابتة بسبب خضوعها للتقويم الهجري، وبما أن الأوروبيين قد لا يلائمهم توقيت الأعياد لعدم انعقاد الأسواق في أوروبا أو لرداءة الطقس وعدم صلاحيته للملاحة، لذلك تطورت تلك الأسواق وغدت تعقد نصف أو ربع سنوية، وفي أوقات شبه محددة[33]، أما الأسواق المحلية فقد كانت دائمة، وانتشرت بشكل رئيس في القاهرة التي احتوت على جميع أنواع السلع المحلية والأجنبية[34].

طرق التجارة وموانئها

شهدت التجارة مع الهند انتعاشا إضافيا إثر تولي المماليك الحكم في مصر سنة 648هـ/ 1250م، ومع انتهاء الحروب الصليبية أصبح الأوروبيون شديدي الحرص للحصول على منتجات الشرق، الأمر الذي أعاد طرق التجارة المتبادلة في البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي إلى ما كانت عليه قبل القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد في النشاط والحركة[35]، وكان من أهم الطرق التجارية بين مصر والهند الآتية:

أولا: الطريق البحري من الشرق الأقصى، (بلاد الصين والهند) إلى البحر الأحمر، مارًّا ببحر العرب وخليج عدن، ثم يتفرع بعد ذلك إلى فرعين، يتجه أحدهما شمالاً بعد أن يترك البحر الأحمر عبر سيناء إلى مدينة دمشق، ومنها إلى موانئ ساحل البحر المتوسط، أما الفرع الآخر من هذا الطريق فيتجه عبر الصحراء المصرية الشرقية إلى نهر النيل حيث تشحن البضائع على المراكب النيلية التي تبحر صوب القاهرة ومنها وعبر النيل أيضًا إلى ميناء الإسكندرية، ومنها تخرج سلع إلى أسواق أوروبا[36].

---

[30] - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص293.

[31] - نفس المرجع، ص92.

[32] - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص283.

[33] - ضومط، الدولة المملوكية، ص212.

[34] -المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص94-95.

[35] - شوقي عثمان، تجارة الهند، ص267-268.

[36] - الأشقر: طرق التجارة ، ص289-290.

ثانيًا: الطريق البحري الذي يبدأ من الشرق الأقصى (بلاد الصين والهند)، ثم يسلك الخليج الفارسي، حتى رأسه ثم تبدأ فروعه النهرية والبرية من البصرة إلى بغداد، حيث يتفرع منها إلى فرعين هما:

الأول: يتجه شمالًا نحو ديار بكر، والثاني يتجه غربًا نحو دمشق، ومنها تخرج فروعه إلى موانئ ساحل البحر المتوسط ثم يسير هذا الطريق جنوبًا بمحاذاة الساحل إلى مدينة غزة متجها إلى مصر عبر صحراء سيناء والصحراء الشرقية قاصدًا مدينة القاهرة ومنها إلى مدينة الإسكندرية والتي تصدر منها سلع الشرق إلى أوروبا[37].

وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من وسط آسيا، وذلك في فترة غزوات المغول خلال القرن الثالث عشر ميلادي/ السابع الهجري، لكن الاتصال عاد مرة أخرى عندما سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى، وأمنوا كافة الطرق المارة بها فعاد التجار إلى سلوك هذا الطريق. ثم عاد التجار وامتنعوا عن سلوك هذا الطريق منذ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي، إذ أغلقته الحروب بين الصفويين والعثمانيين، وبذلك فقدت مدن هذا الطريق ومراكزه وموانئه التجارية التي كان أهمها، هرمز[38] 428 والبصرة وبغداد وسيراف[39]، 421 أهميتها ومكانتها حتى بطل استخدام هذا الطريق تمامًا في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، وتحديد منذ دخول البرتغاليين باسطوهم الحربي إلى الخليج الفارسي واحتلاهم لأهم موانئه[40]، ولقد وقع على تلك الطريق العديد من المراكز والمدن التجارية والموانئ الهامة التي اكتسبت شهرة تجارية عالمية، فعلى الساحل الغربي لبلاد الهند وهو المواجه لشبه الجزيرة العربية والسواحل الشرقية لأفريقيا، تقع مجموعة من أهم المدن التجارية التي عرفها العرب منذ عصور قديمة ومارسوا بها تجارتهم، ومن أهمها وأشهرها:) كجرات، كمباي، ديو، الديبل، جوا، قاليقوط، كولم، شول، وهي الأسواق التي استمد منها التجار العرب والمصريين حاجتهم من سلع الشرق الهامة والتي تهافتت عليها أسوا ومتاجر أوروبا.

ثانياً: السواحل الجنوبية والغربية، فقد وجدت مجموعة من المراكز التجارية الهامة ذات الشهرة العالمية مثل (عدن، جدة)، أما عن أهم المراكز والموانئ المصرية التجارية سواء على البحر الأحمر أو على البحر المتوسط، فبالإضافة إلى الحاضرة (القاهرة)، والمدن التي تقع على طول مجرى نهر النيل وجدنا مدن عيذاب والقصير والطور والسويس على البحر الأحمر، والإسكندرية ودمياط ورشيد على البحر الشام (المتوسط)[41].

---

[37] - محمد عبد الغني الأشقر: تجارة التوابل، ص288-298.

[38] - هرمز: مدينة تقع بمقربة من جرفت من عمل مكران، ومما يدل على نشاطها التجاري الكبير، من الأسواق والتجار بها، وتعرف اليوم باسم (بندر عباس)، وتقابل جزية هرمز وفيها هرمز الجديدة في مدخل الخليج العربي، ابن حوقل: المسالك والممالك، مصدر سابق، ص229.

[39] - سيرأف: تقع مدينة سيرأف في بلاد ففارس على ساحل البحر الفارسي، وهي كبيرة، اتصف تجارها بالثراء، واشتهر أهلها بحبهم للتكسب والتربح واستجلاب المال على أي وجه ممكن، وكانوا مولعين بممارسة التجارة خارج بلادهم، ابن حوقل، مصدر سابق، ص333.

[40] - الأشقر: تجار التوابل، مراجع سابق، ص289.

[41] - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص123.

الخاتمة

تناول هذا البحث -بحمد الله وتوفيقه-نقطةً تاريخية واقتصادية مهمة، وهي العوامل التي ساعدت على رقيّ الاقتصاد والتجارة الخارجية بين مصر والهند في ظل الخلافة الإسلامية، وتوصّل إلى عوامل مهمة نذكرها في النقاط الآتية:

1. إن الموقع الجغرافي المميز لكلّ من مصر والهند أكسبهما حركة تجارية نشطة، حيث تشكلان حلقة وصل بين الدول حولهما، وممراً برياً ومائياً سهل العبور والتنقل.
2. أعطى انتشار الإسلام في تلك البلاد الجانب التجاري أهمية بالغة، حيث اهتم المسلمون بالتجار غير المسلمين واستفادوا من خبراتهم وخيراتهم من أجل النهوض بالجانب الاقتصادي للدولة الإسلامية.
3. لعب المناخ أيضاً دوراً أساسياً في تفعيل حركة التجارة بين هذين البلدين، حيث كانت الرياح والتيارات المائية تدرس بشكل كبير من أجل مجاراتها والتحرك بحرية في البحار والموانئ.
4. اهتم المسلمون أيضاً ببناء الموانئ التي تنقل البضاعة المختلفة، وبناء الفنادق والبيوت في تلك المناطق لاستقطاب التجار والسياح، ومن أجل تسهيل الحركة عليهم وجذبهم خلال فترات عملهم.

وختاماً، ترى الباحثة أن هذه القضية نقطة مضيئة في تاريخ المسلمين، وأنها تستحق الدراسة والتأمل العميق، وتكرار مثل هذه التجارب في بلاد المسلمين في الزمن الحاضر، ولا تزال الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية بحاجةٍ لمن يخرجها للنور وتقديمها للأجيال ليعرفوا تاريخهم المشرق.

ونسأل الله القبول والإخلاص في العمل، وأن نكون قد وفّقنا لما يحبه ويرضاه.

Factors that have helped the existence and prosperity of trade relations between Egypt and the country of India

Abstract

This research, which is named by (the factors that assisted the existence and prosperity of trade relations between Egypt and the country of India) is the most important points that formed the Link tool to, also it said The geographical location of both countries, the impact of the spread of Islam on the movement of the economy between the two countries, and then deal with the most important geographical features that helped to support the trade movement, which was in the Red Sea and the coasts and ports established in that period, in addition to marine currents and monsoon, and the important relations held by the Muslim princes to suit their commercial interests

Keywords: Trade Relations, Islamic Governance, Economic Movement, Egypt, India.